الفصل الرابع

منهج الزجاج في توجيه القراءات في كتابه معاني القرآن وإعرابه

تمهيد:

نشير إلى أنواع القراءات وشروطها المعتبرة عند العلماء في هذا الفصل ونمازج بينها وبين شروط الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه الذي هو قيد الدراسة ومن هم القراء الذين ذكرهم الزجاج وأشار إليهم في حدود الدراسة وما هي أنواع القراءات عنده وألفاظها ومنهجه في إيرادها والاستشهاد بها وكذلك منهجه في توجيهها في هذا الفصل بإذن الله تعالى والله الموفق، حيث قسم الباحث الفصل إلى مبحثين الأول عن منهج الزجاج في قبول القراءات وجاء بمطلبين، أما المبحث الثاني فكان عن منهج الزجاج في توجيه تلك القراءات وبيان أنواع التوجيه الذي استخدمه في كتابه.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المبحث الأول

منهج الزجاج في قبول القراءات

المطلب الأول

منهج الزجاج في قبول القراءات المتواترة

أولاً : أنواع القراءة:

ذكر علماء هذا الفن أنواع القراءة وأشاروا إليها في كتبهم وتغايرت ألفاظها ولكن اتفقت معانيها منها ما ذكره ابن مجاهد في كتابه السبعة حيث قال((وأما الآثار التي رويت في الحروف فكالآثار التي رويت في الأحكام منها المجتمع عليه السائر المعروف ومنها المتروك المكروه عند الناس المعيب من أخذ به وإن كان قد روى وحفظ ومنها ما توهم فيه من رواه فضيع روايته ونسي سماعه لطول عهده[616]، ولعل هذا النص يشير إلى مقابلة ابن مجاهد للآثار الواردة في الأحكام الشرعية والآثار الواردة في وجوه قراءة القرآن، فما سماه المجتمع عليه السائر المعروف يقابل المتواتر من وجوه القراءات، وما وصفه بأنه المتروك المكروه عند الناس المعيب يقابله الشاذ من وجوه القراءات، وأما ما وصفه بأنه توهم فيه فهو المردود من وجوه القراءات وإن وافق اللغة ، وعلى هذا التقسيم سار القيسي وجعل ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام

[616] ابن مجاهد : *السبعة في القراءات* ص48

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ما يقبل فيقرأ به، وما يقبل ولا يقرأ به، وما لا يقبل ولا يقرأ به[617]، وكذلك تقسيم ابن الجزري للقراءات إلى صحيحة ، شاذة ، متروكة أو مردودة أو باطلة[618]، فالنوعان الأول والثاني عند ابن مجاهد يقابلان ما يقبل فيقرأ به والثالث والرابع يساويان ما يقبل ولا يقرأ به عند القيسي وأربعتها يصدق عليها مسمى القراءة الصحيحة عند ابن الجزري، ولم يخرج الزجاج عن هذه الأنواع في كتابه كما سيأتي ذكر منهجه في هذا الباب.

ثانياً : أركان القراءة :

ذكر العلماء أركان القراءة الصحيحة المقبولة التي يقرأ بها واشترطوا في ذلك ثلاثة أركان متى اختل ركن منها نزلت رتبة تلك القراءة عما هي عليه من القبول والصحة وهذه الأركان كما ذكرها ابن الجزري في كتابه النشر حيث قال ((ما وافقت العربية ولو بوجه ،ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ومتى أختل ركن من هذه الأركان أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة[619]، أما الزجاج فقد وافق علماء هذا الفن في الأركان الثلاثة وجعلها ميزانه للقراءة بتلك القراءة حيث قال في أكثر من موضع والقراءة سنة متبعة، وقال ولا يلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة[620]، وهذه لغة من لا يلتفت إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه[621]، ولا ينبغي أن يقرأ بما يجوز

---

[617] القيسي . محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار . *الإبانة عن معاني القراءات* . مصر . دار نهضة مصر . ص51.

[618] ابن الجزري . محمد بن محمد بن يوسف . *النشر في القراءات العشر* . بيروت . دار الكتب العلمية .ص9.

[619] المصدر السابق ص9.

[620] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص51.

[621] المصدر السابق نفس الصفحة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

إلا أن تثبت به رواية صحيحة أو يقرأ به كثير من القراء، ولكن المصحف لا يخالف بقراءة لا تروى[622]، وهذه العبارات وغيرها تدلنا على أن ما ذهب إليه الزجاج يوافق أركان القراءة التي سنها علماء هذا الفن وقعدوها غير أنه كان متورعاً حذراً في استخدام الألفاظ والأحكام على القراءات فلم يرجح قراءة على أخرى ولم يرد قراءة وافقت قراءة القراء.

ثالثاً : نسبة القراءة والقراء عند الزجاج:

ذكر الزجاج القراءات ثم نسبها وتنقسم بحسب ما أورده إلى ثلاثة أنواع :

1. نسبة عامة

وهي تكون لبلد أو مصر من الأمصار أو قبيلة حيث قال الزجاج ((فأما أهل الحجاز فيخففون الهمزة بين الواو والهمزة[623]، وكذلك يقرأ أهل الحجاز وهو جيد بالغ[624]، كذلك قراءة أهل الحجاز وأهل الكوفة جميعاً (وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ) فضموا هذا الحرف[625]، وروى أبو الحسن الأخفش أن بعض بني تميم تقول الرضاعة بكسر الراء[626])).

---

[622] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص89.

[623] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص73.

[624] المصدر السابق ج1 ص89.

[625] المصدر السابق ج1 ص288.

[626] المصدر السابق ج1 ص154.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

2. نسبة خاصة:

وهي ما نسبه إلى قارئ بعينه أو مجموعة من القراء ومنها ((فأما مَا قَرأنَاه من حرف عاصم ورواية أبي عمرو (فِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)، بكسر النون والعين، فهذا جَيِّدٌ بَالغ لأن ههنا كسرَ العينِ والنونِ[627]، وأما أبو عمرو فيحقق الهمزة الثانية[628]))، أما القراء الذين ذكرهم الزجاج فهم ((الحسن البصري، عبد الله بن أبي إسحق، عيسى بن عمر، الرؤاسي، عاصم، أبو عمرو بن العلاء، أبو جعفر المدني، أبن كثير، عبد الله بن مسعود، أسماعيل بن إسحق، نافع، شيبة، يحي بن وثاب، الأشمس، حمزة، الكسائي، ابن عباس، عمر بن الخطاب، أبو بكر بن عياش، حميد،الأعمش)).

3. ما لم ينسبه الزجاج :

وهو ما ذكره الزجاج ولم ينسبه لقارئ معين وهو الأكثر الغالب في كتابه وهذا الشيء الذي عيب على المحقق في تحقيقه حيث أنه لم ينسب القراءة ويرجعها إلى قارئها ولم يبين مدى درجتها منها ما قاله عن قراءة (مالك يوم الدين) في سورة الفاتحة حيث قال وقرئ ملك ومالك[629]))، وفي موضع (فيه هدى) من سورة البقرة أربعة أوجه القراءة منها على وجه واحد ولا ينبغي أن يتجاوز إلى غيره وهو (فيهِ هدى) بكسر الهاء[630].

رابعاً : سند القراءات عند الزجاج وضبطه لها ومعرفته بأصولها:

تحدثنا سابقاً عن شيوخ الزجاج ودورهم في صياغة شخصيته العلمية وغالباً ما كان التكوين لغوياً وهذا الذي شاع عن الزجاج وشيوخه ولكن أورد الزجاج نصوصاً بين طيات كتابه واضحة تبين تلقيه للقراءات

---

[627] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص354.

[628] المصدر السابق ج1 ص88.

[629] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص52.

[630] المصدر السابق ج1 ص69.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ومعرفته بأصول ومذاهب القراء ورسم المصحف ولعل هذه المعرفة نتجت عن تلقي الزجاج القراءة مشافهة وعرضها على العلماء المتقنين الضابطين، أو قراءته لكتب القراءات وتعلمه منها كما فعل شيخه ثعلب حينما قرأ كتاب سيبويه ولعل التلميذ تابع الشيخ في هذا المنهج، ولعلنا نشير إلى تلك النصوص لبيان ما قدمناه من تحليلات، حيث قال الزجاج ((وهذا لا أعلم أحدا قرأ به إلا ما ذكر عن الرؤاسي فأما من رواه عن عاصم فليس بصحيح الرواية[631]))، ونتوقف عند هذا النص الذي يشير فيه الزجاج إلى معرفته قراءة عاصم وطرقه وأن الطريق الذي ذكر هو من طريق الرؤاسي وعدم صحة ما نقل من رواية أخرى وهذا يدل على ضبط الرواية ومعرفة أصولها وطرقها، وقوله في موضع آخر حيث يتكلم فيها عن الهمزتين في كلمتين ((وهذا مذهب أبي عمرو بن العلاء[632]))، وهذا النص يؤيد ويوثق معرفة الزجاج بمذاهب القراء، وقال في موضع آخر ((وقرأ أبو جعفر المدني وحده بالضم في قوله تعالى (للملائكة اسجدوا) وهو من جلة أهل المدينة وأهل الثبت في القراءة[633]))، وهذا نص آخر يبين فيه معرفته طبقات القراء ومدى ضبطهم وإتقانهم.

وأما عن تلقيه القراءة فيشير الزجاج إلى ذلك في أكثر من موضع حيث قال ((وأكثر ما أرويه من القراءة في كتابنا هذا فهو عن أبي عبيد مما رواه إسماعيل بن إسحاق عن أبي عبد الرحمن عن أبي عبيد))[634] وهذا النص يشير إلى مصادر القراءات التي رواها الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه، وأيضاً قال الزجاج في موضع آخر ((والإقدام على رد هذه القراءة غلط لأن نافعاً رحمه الله قرأ بها وأخبرني

---

[631] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص66.

[632] المصدر السابق ج1 ص77.

[633] المصدر السابق ج1 ص 104.

[634] المصدر السابق ج1 ص160.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

إسماعيل بن إسحق أن نافعاً رحمه الله لم يقرأ بحرف إلا وأقل ما قرأ به اثنان من قراء المدينة))[635]، وهذا النص يتحاج إلى وقفات وهي دفاع الزجاج عن القراءة الصحيحة المتواترة، وذكر الزجاج أنه تلقاها وسمعها من إسماعيل بن إسحق القاضي، وتواتر تلك القراءة ودقة نافع رحمه الله في اختياره لحرفه.

وقال الزجاج في موضع آخر أيضاً ((وهي قراءة الناس إلا أهل المدينة فإن في مصحفهم (من يرتدد) وكلاهما صواب))[636]، فالمتأمل في هذا النص يجد أن الزجاج على معرفة بالمصاحف ورسمها وكذلك عدم تغليب قراءة على أخرى بل كلاهما صواب كما ذكر والله أعلم، وفي موضع آخر يقول ((فأما ما قرأناه من حرف عاصم رواية أبي عمرو (فنعما هي) بكسر النون والعين))[637]، وهذا النص يشير صراحة إلى تلقي الزجاج القراءة عرضاً على الشيوخ المتقنين وضبطه للحرف، وقال في موضع آخر ((والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عياش وأبي عمرو فتح الميم))[638]، وقال ((وقرأناه بإقراء أبي عمرو عن عاصم بيوتكم بضم الباء))[639] وهذه النصوص تعضد ما قبلها من النصوص على ضبط القراءة عند الزجاج ومعرفته بطرقها وأصولها ورواتها والله أعلم.

خامساً : منهج الزجاج في القراءات المتواترة:

تتباين مواقف الزجاج من القراءة المتواترة التي أوردها في كتابه معاني القرآن وإعرابه على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول: ما نسبه ووجهه وقال بشهرته وتواتره.

الوجه الثاني: ما لم ينسبه ووجهه وسكت عن الحكم عليه.

---

[635] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص189-190

[636] المصدر السابق ج1 ص249

[637] المصدر السابق ج1 ص301

[638] المصدر السابق ج1 ص316

[639] المصدر السابق ج1 ص403

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الوجه الثالث: ما لم ينسبه ولم يوجهه ولم يحكم عليه.

ولعلنا نشير إلى تلك الأوجه بأمثلة مما أورده الزجاج للبيان والإيضاح

الأول: ما نسبه ووجهه وحكم بتواتره :

قال الزجاج ((فأما القرآن فلا يقرأ فيه إلا بالرفع لأن القراءة سنة متبعة ولا يلتفت إلى غير الرواية التي قد قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة ، وقد روي عن قوم من العرب ((الحمدَ لله)) و ((الحمدِ لله)) وهذه لغة من لا يلتفت إليه [640]).

وذكر الزجاج لفظة القراء المشهورين وهم الذين اشتهرت قراءاتهم في الأمصار والذين نقل عنهم الزجاج وذكر ركن من أركان القراءة المتواترة وهي سنية الرفع وهذا موافق للمصحف وحكم الزجاج بتواترها بناء على موافقة المصحف الذي هو ركن من أركان صحة القراءة وموافقة اللغة وفي موضع آخر يقول ((زعم سيبويه أن من العرب من يحقق الهمزة ، ولا يجمع بين الهمزتين وإن كانتا من كلمتين فأما أهل الحجاز فلا يحققون واحدة منها ، وأما بعض القراء كابن أبي إسحاق وغيره فيجمعون في القراءة بينهما ، فيقرؤون (أأنذرتهم) وكثير من القراء يخفف إحداهما ، وهذا مذهب أبي عمرو بن العلاء ، فأما من خفف الهمزة الأولى (أأنذرتهم) طرحها البتة وألقى حركتها على الميم ، ولا أعلم أحدا قرأ بها ، والواجب على لغة أهل الحجاز أن يكون (عليهم أأنذرتهم) فيفتح الميم ، ويجعل الهمزة الثانية بين بين ، وعلى هذا مذهب جميع أهل الحجاز[641])، وهنا إشارة واضحة إلى القراء وبيان مذاهبهم وأصولهم في القراءة وهذا إن دلَّ فإنما يدل على معرفة الزجاج بالأصول والمذاهب في القراءة كما بينّا سابقاً، وذكر الزجاج لفظ القراء في أكثر من موضع دلالة على شهرتهم في زمانه وهم أنفسهم الذين تواترت عنهم القراءة ومنها ما قاله ((ويروى

---

[640] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ، ج1-ص51.

[641] المصدر السابق ج1 ص77.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

حذار الموت ، والذي عليه قراؤنا (حذر الموت[642])) وهذا تنصيص على إجماع القراء وتواترهم على الرواية والنقل الذي هو عماد القراءة وركن متين وشرط أصيل، ونص على القراء صراحة في موضع قراءة (نعما) حيث قال ((روى أبو عبيد أن أبا جعفر وشيبة ونافعا وعاصما وأبا عمرو بن العلاء قرءوا بكسر النون وجزم العين وتشديد الميم، وروى أن يحيى بن وثاب والأشمس وحمزة والكسائي قرءوا بفتح النون وكسر العين، فأما ما قرأناه من حرف عاصم رواية أبي عمرو بكسر النون والعين643)).

ولا بد من وقفة على هذا النص وبيان ما فيه من فوائد أولها معرفة من هم القراء الذين ذكرهم الزجاج وأشار إليهم وهم القراء المشهورون وثانياً معرفة الزجاج بأصول القراء وثالثاً ضبطه القراءة بالتلقي كما أشار في آخر النص، وكذلك أشار إلى قراءة عاصم في موضع آخر وراوييه حيث قال ((أكثر القراء على رفع تجارة حاضرة، وقرأ عاصم بالنصب644)) وقال ((أجمعت القراء على فتح الميم، وقد روى عن الرؤاسي بتسكين الميم، وقد روى هذه القراءة بعضهم عن عاصم ، والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عياش وأبي عمرو فتح الميم وفتح الميم إجماع[645])) وقال((أكثر القراءة كسر الراء، وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم بضم الراء646))، ومن المواضع أيضاً ما أشار فيه إلى المتواتر ونسبه للقراء قوله((اتفق أبو عمرو وعاصم والأعمش وحمزة على إسكان الهاء، وأما نافع وقراء أهل المدينة فأشبعوا

---

[642] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج11ص92.

[643] المصدر السابق ج1 ص300-301.

[644] المصدر السابق ج1 ص311.

[645] المصدر السابق ج1 ص316.

[646] المصدر السابق ج1 ص325.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

هذه الحروف فكسروا وأثبتوا الياءات[647]))، وقوله بضم الباء وكسرها، وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم بكسر الباء والضم الأكثر الأجود[648])).

الثاني : ما لم ينسبه ووجهه ولم يحكم عليه:

وفي هذا المقام نسوق مواضع ذكرها الزجاج ولم ينسبها لقارئ معين وسكت عن الحكم عليها والذي يميزها هو توجيه الزجاج لها وهذا يدل على صحتها من جانب اللغة وأن لها دليلاً لا يخرج عن مساقات الأصول منها ما قاله ((وذلك في (عليهم) ضم الهاء وكسرها وعلى هاتين اللغتين معظم القراء ويجوز عليهمو بالواو وعليهمي بالياء ومن قرأ به قليل ولا ينبغي أن يقرأ إلا بالكثير[649]))، ولا يخفى أن من أصحاب هذا المذهب والقراءة بضم الهاء هو حمزة وهو من القراء السبعة وقراءته متواترة مشهورة وذكرها الزجاج ولم يشر لقارئها ولكنه وجهها وذكر بأنها من كلام العرب وهي من اللهجات الواردة في القرآن الكريم ، وقوله ((ويجوز في قوله (جعل لكم) وجهان الإدغام والإظهار فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات، ومن أظهر وهو الوجه الذي عليه أكثر القراء فلأنهما منفصلان من كلمتين[650])) وهي من القراءات المتواترة حيث قرأ بها أبو عمرو وهو من باب الإدغام وذكرها الزجاج وشق لها طريقاً لتصل لأبواب اللغة وهي لم تخالف رسم المصحف وكل هذا من أركان المتواتر ، وقال ((ويقرأ (وإذ واعدنا موسى)، واختار جماعة من أهل اللغة وإذ وعدنا بغير ألف وكلاهما جيد بالغ[651]))، ولا يخفى ما في بطن أمهات كتب القراءات أن هذه القراءة هي قراءة أبي عمرو وهي متواترة حيث قرأها

---

[647] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص363-364.

[648] المصدر السابق ج1 ص403.

[649] المصدر السابق ج1-ص55-57.

[650] المصدر السابق ج1ص94.

[651] المصدر السابق ج1 ص121.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بغير ألف وذكرها الزجاج وبين علة اختيار الإلف من عدمه وفصل في معانيه وهذا التوجيه لم يخالف اللغة ولم يخالف المصحف وهو على شروط العلماء في المتواتر من القراءات.

الثالث: ما لم ينسبه ولم يوجهه ولم يحكم عليه:

وهو الغالب الكثير الذي ظهر واضحاً جلياً في كتاب الزجاج ولعل سكوت الزجاج وعدم نسبته راجع إلى أسباب عدة منها:

أولاً: ما برره بعدم علمه بأن كان قرئ به أو لا، كقوله في قراءة الآن جئت بالحق عندما ذكر وجها آخر قال ولا أعلم أحداً قرأ بها[652]، وكذلك عدم علمه بها ليس بالضرورة أنها لم تكن متواترة أو لم يقرأ بها فلعله لم يطلع على من قرأ بها.

ثانياً: أنه يكون قد ذكر القراءة في موضع ونسبها ووجهها ثم لما وردت في موضع آخر أشار فقط إليها ولم ينسبها ولم يوجهها لأنه ذكرها في النص الأول ومثل هذا ما ذكره في قراءة بيوتكم وربيون قال وقرئت بالكسر والضم في الموضع الأول رواية أبي بكر شعبة عن عاصم ولم يذكرها في المواضع التالية من تفسيره ولعل هذا مصدر قوة لا ضعف وهو أن كتاب الزجاج خال من التكرار الذي غصت به كتب التفسير السابقة للعلماء وكذلك دلالة على مراجعته وتنقيحه ويظهر جلياً من المدة التي مكث الزجاج في تأليف الكتاب وإملائه.

ثالثاً: قوله عن القراءة وإن كان قرئ بها وإلا فلا تقرأن بها كما ذكر في قراءة مخرج ما كنتم تكتمون[653]، وهذا النص وما سبقه يمكن أن نستنتج منها:

1. مقدرة الزجاج العلمية في معرفة النصوص والقراءات

---

[652] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص138.

[653] المصدر السابق ج1 ص139.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

2. سكوته عن النصوص لا يعني عدم تواترها في بعض المواضع.

3. تنقيحه للنصوص وعدم التكرار دليل على رصانة المنهج الذي اتبعه في تفسيره.

4. قوة الإيمان والعقيدة التي تميّز بها الزجاج وعدم قوله في كتاب الله شيئاً إن لم يكن يعرف وعدم إدعائه العلم والله أعلم.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المطلب الثاني

منهج الزجاج في القراءات الشاذة

أولاً : تعريف القراءات الشاذة:

وهي القراءة التي فقدت أحد الأركان الثلاثة لصحة القراءة ، وقد لخص ابن الجزري ذلك بقوله :

وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعةِ[654]

وقوله رحمه الله " لو أنه في السبعة "يشير إلى أن الاعتماد في صحة أي وجه من وجوه القراءات على ما استجمع تلك الأوصاف ، وليست العبرة بمن تنسب إليهم ، فالقراء السبعة أو العشرة . مع شهرتهم . رُوِي عنهم ما خرج عن أوصاف القراءة الصحيحة ، وحينئذ ينبغي أن يحكم على ما كان كذلك بالشذوذ، ولذلك قال أبو العباس الكوَاشي : "... فعلى هذا الأصل بني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف ، ومتى فقد شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ"[655].

---

[654] ابن الجزري : *طيبة النشر* ص32.

[655] القسطلاني . أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر . *لطائف الإشارات لفنون القراءات* . المملكة العربية السعودية . مجمع الملك فهد لطباعة المصحف . ج1 ص67.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وقال أبو شامة : "كل قراءة اشتهرت بعد صحة إسنادها وموافقتها خط المصحف ولم تنكر من جهة العربية فهي القراءة المعتمد عليها ، وما عدا ذلك فهو داخل في حيز الشاذّ والضعيف ، وبعض ذلك أقوى من بعض "[656].

ويتضح مما سبق أن مصطلح الشذوذ عند القراء مصطلح خاص ، يقصد به ما خرج من أوجه القراءات عن أركان القراءة المتواترة .

وكما أن القراءات المتواترة على مراتب فكذلك القراءات الشاذة تتفاضل أيضا بحسب إسنادها قوة وضعفا، وبحسب رسمها مخالفة وموافقة، وبحسب عربيتها فصاحة ونحوا وتصريفا. ويندرج في القراءات الشاذة ما لم يصح سنده من المنكر والغريب والموضوع[657].

وامتنع بعض المحققين من إطلاق الشاذ على ما لم ينقل أصلا وإن صح لغة ورسما ، وسموه مكذوبا[658] .

واعتبر بعض القراء وطوائف من أهل الكلام أن جميع ما روي من القراءات الخارجة عن المصاحف العثمانية محمولة على وجه التفسير وذلك بناء على أن تلك المصاحف اشتملت على جميع الأحرف السبعة ، فما خرج منها فهو ليس من الأحرف السبعة أصلا.

---

[656] المقدسي . شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم . 2003 م . *المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز* . بيروت . دار الكتب العلمية . ص35.

657 السيوطي . أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر . 1982 م . *التحبير في علم التفسير* . المملكة العربية السعودية . دار العلوم . ص142.

[658] ابن الجزري . محمد بن محمد بن يوسف . 1420هـ -1999م . *منجد المقرئين ومرشد الطالبين* . بيروت . دار الكتب العلمية . ص65، والقسطلاني : *لطائف الإشارات لفنون القراءات* ج1ص72.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وذهب أئمة السلف وأكثر العلماء إلى أن المصاحف العثمانية لم تشتمل على جميع الأحرف السبعة ، وإنما اشتملت على جزء منها ، وأن الجمع العثماني منع من القراءة مالا يحتمله خطه ، وعليه فإن ما كان كذلك فهو من القراءات الشاذة وليس من التفسير ، ولكن حكمه حكم التفسير بل أقوى[659] .

ومذهب السلف هو الأسلم والأولى ، وهو الموافق لتاريخ القراءات ، وبه لا تنخرم إحدى القواعد المعتبرة التي اعتمدها أهل السنة والجماعة في تصحيح القراءة أو تشذيذها ، وهي السند والرسم والعربية،وذلك يقتضي أن كل قراءة خرجت عن رسم المصاحف العثمانية قراءة شاذة وليست تفسيراً .

وينبغي التنبه هنا على أن المقصود باشتراط العربية إذا بُعد يرجع إلى نزول القرآن على لسان العرب ، وإلى أن أحرفه السبعة لا تخرج عن لهجات العرب ، وحينئذ فإن الوجه إذا ثبت نقله واستقام رسمه فلا يحكم عليه بالشذوذ لمجرد طعن بعض النحاة ومن تبعهم ، بل القراءة هي الحاكمة والحجة ، فكيف إذا كان مقروءاً بها في الأمصار والمحاريب ، ويرحم الله الإمام ابن مالك إذ انتصر لأحد الوجوه التي أنكرت في قوله :

وعمدتي قراءةُ ابن عامرِ * وكم لها من عاضد وناصري[660]

وأغلب ما وصف بالشذوذ من القراءات كان بسبب مخالفة الرسم العثماني أو بسبب عدم توافر النقل ، وليس من أجل مخالفة العربية ، إلا في النادر ، مما نقله ثقة ولا وجه له في العربية، ولا يصدر مثل هذا إلا سهوا بشرياً ، وقد نبه عليه المحققون والقراء الضابطون[661] .

---

[659] الهروي . أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله . 1415 هـ -1995 م . *فضائل القرآن* . بيروت . دار ابن كثير . ص154.

[660] ابن مالك . محمد بن عبد الله . الطبعة الأولى . *شرح الكافية الشافية* . مكة المكرمة . جامعة أم القرى. ص53.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ثانياً : أقوال العلماء في الشاذ:

ذكرنا سابقاً بيان القراءة الشاذة ونذكر هنا آراء العلماء فيها وهي:

قولهم وأما ما يذكر في كتب القراءات على وجه القراءة مع مخالفته للرسم فقد حمله أكثر العلماء على وجه التعليم فحسب ، وذلك من أجل الاستفادة في الأحكام الشرعية والأدبية[662] ، وهذا القول يقودنا إلى الاستنتاج بأن القراءة الشاذة لتعضيد وبيان لبعض الأحكام الشرعية ولا يجوز القراءة ، وامتنع بعض المحققين من إطلاق الشاذ على ما لم ينقل أصلا وإن صح لغة ورسماً ، وسموه مكذوباً[663] .

ثالثاً : منهج الزجاج في الشواذ

الزجاج كغيره من العلماء ذكر الشاذ في كتابه وأورده وبينه في مواضع كثيرة ولعل هذا الأمر يرجع إلى كون الزجاج من أهل اللغة والشاذ إنما خالف ركن رسم المصحف ولم يخالف اللغة وبعضه خالف التواتر ولكنه لم يخالف اللغة والرسم فيأتي بما يجوز في اللغة على منهج أهلها وهذا ما ظهر جلياً في المعاني حيث ما جوزه الزجاج لغةً وجعله وجهاً للقراءة منها ما قاله في قراءة النصب لملك يوم الدين حيث قال ولو نصب جاز في الكلام، فأما في القراءة فلا استحسنه[664] ، وقال في موضع آخر في قراءة النصب لغير المغضوب

---

661 ابن الجزري : *النشر في القراءات العشر* ج1 ص16

662 النويري . محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق . 1406 هـ . *القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ* . القاهرة : مجمع البحوث البحوث الإسلامية في الأزهر . ج1 ص75 ، وينظر ابن عبد البر . أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد . *التمهيد لما في الموطأ من أسانيد* . دار الفاروق الحديثة . ج8 ص292

663 ابن الجزري : *منجد المقرئين ومرشد الطالبين* ص 84

664 الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص52

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عليهم ويجوز نصب غير[665]، ولعل من أسباب ذكر الشاذ أيضاً ما أشار إليه بقوله ((وأكثر ما أرويه من القراءة في كتابنا هذا فهو عن أبي عبيد مما رواه إسماعيل بن إسحق عن أبي عبد الرحمن عن أبي عبيد))[666]، وأبو عبيد الله ذكر في كتابه خمسة وعشرين قراءة مما ذكره السيوطي في الإتقان وضمنه كثير من القراءات الشاذة، أما منهج الزجاج في الشاذ بعد إيراده فهو على أوجه :

1. ما سكت عنه:

وهو ما ذكره سكت عن توجيهه ونسبته كقوله في قراءة ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾[667] وقد قرأ بعضهم (أدنأ)[668]، ففي هذا النص أورد الزجاج قراءة شاذة وسكت عنها بالنسبة والتوجيه، وقوله في موضع آخر ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[669] وقد روي بالفتح (أو أشدّ قسوة)[670]، وكذلك في هذا النص سكت ولم ينسب ويوجه .

2. ما ذكره ووجهه ولم ينسبه:

وقد أورد الزجاج مواضع للقراءات بين فيها وجهها ولكنه لم ينسبها ويوجهها نسوق منها أمثلة للبيان كقوله في توجيه القراءة في الآية ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[671]

---

[665] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص57-58.

[666] المصدر السابق ج1 ص160.

667 القرآن الكريم: *سورة البقرة* آية59.

[668] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص130.

[669] القرآن الكريم: *سورة البقرة* آية 74.

[670] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص141.

[671] القرآن الكريم: *سورة البقرة* آية 38.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الأكثر في القراءة والرواية هداي ومن العرب من يقولون: هديَّ، فمن قرأ بهذه القراءة فإنما قلبت الإلف إلى الياء للياء التي بعدها[672]، حيث ذكر القراءة وهي شاذة ووجهها وبين علة القراءة فيها، وقال في موضع آخر في توجيه القراءة في الآية ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾[673]، ولو قرئ حطةً كان وجهها في العربية كأنهم قيل لهم : قولوا : احططط عنا ذنوبنا حطةً[674].

3. ما ذكره ووجهه ونسبه:

وهذا الوجه بينه الزجاج ووجهه ونسبه لقارئه وربما حكم عليه في بعض المواضع كما سنذكر بإذن الله تعالى حيث قال في الآية ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾[675] القراءة على ضربين : تعبدون ويعبدون بالياء والتاء ، وقد روى وجه ثالث لا يؤخذ به لأنه مخالف للمصحف قرأ ابن مسعود : لا تعبدوا[676]، حيث بين وجه القراءة وعلتها وحكم عليها بقوله لا يؤخذ بهذا الوجه لمخالفته المصحف وكما هو معلوم فما خالف المصحف شاذ، وقوله في آية أخرى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[677]

وقرأ الحسن(اولئك عليهم لعنة اللهِ والملائكةِ والناسُ)[678]، وهذه القراءة شاذة رواها الحسن كما ذكر الزجاج.

---

[672] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص109.

[673] القرآن الكريم: سورة البقرة آية 58.

[674] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص126.

[675] القرآن الكريم: سورة البقرة آية 83.

[676] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص145.

[677] القرآن الكريم: سورة البقرة آية 161.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ومن النصوص السابقة لا بد من وقفة على الوجوه التي ذكرنا آنفاً وهي سكوت الزجاج عن التوجيه والنسبة لعله يرجع إلى شيوع تلك القراءة بين الناس في زمانه أو أنه علم بشذوذها ولم يعلم قارئها كما سمعه من شيوخه أو اطلع عليه في الكتب التي نقل منها أو أن الزجاج باعتباره مدرسة في النحو كان لها وجهاً لغوياً فبين ذلك الوجه وأشار بعده بعبارات تدل على التورع بقوله ولو قرئ به لكان وجهاً أو لو كان قرئ به.

ومن الجدير بالإشارة إلى أن الزجاج لم يخالف منهج العلماء في الشاذ وأحكامه فما خالف المصحف أقر بعدم الأخذ به ولو رواه صحابي كما في قراءة ابن مسعود في الأمثلة السابقة بل وقف عند شروطهم في الشاذ ومن خلال النظر في كتابه فقد ذكر الشاذ وجهاً من أوجه التفسير والبيان لا القراءة وهذا ما نوّه الزجاج إليه صراحة في بداية تفسير سورة الفاتحة حيث قال ((وقد روى عن قوم من العرب الحمدَ لله والحمدِ لله وهذه لغة من لا يلتفت إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه، وإنما تشاغلنا نحن برواية هذا الحرف لنحذِّرَ الناس من أن يستعملوه، أو يظن جاهل أنه يجوز في كتاب الله عز وجل))[679]، وهذا النص يؤكد تورع الزجاج وبيانه لمن يقرأ كتابه ما يجوز ومما لا يجوز في كتاب الله العزيز المحفوظ من الزيغ والتحريف، ومنهج الزجاج موافق لمنهج السلف بإيراد الشاذ واستعماله في التفسير كوجه من الوجوه ولبيان الأحكام الشرعية المرعية والله تعالى أعلم.

---

[678] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص205.

[679] المصدر السابق ج1 ص51.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الثاني

منهج الزجاج في توجيه القراءات

المطلب الأول

مقدمة عن التوجيه وأنواعه

التوجيه لغة:

التوجيه مصدر الفعل الثلاثي المضعف العين (وجه)، وله في المعجم العربي المعاني الآتية:-

- ((يقال: وَجَّهت الريحُ الحصى توجيهاً إذا ساقته، ويقال قاد فلانٌ فلاناً فُوجَّه أي انقاد واتبع، وشيءٌ مُوَجَّه إذا جُعل على جهة واحدة لا يختلف..))[680]
- ((ويقال: خرج القوم فَوجَّهوا للناس الطريقَ توجيهاً إذا وطئوه وسلكوه حتى استبان أثرُ الطريق لمن يسلكه))[681]
- ((والوجيه من الخيل: الذي تخرج يداه معاً عند النِّتاج، واسم ذلك الفعل التَّوجُيهُ))[682]

---

[680] ابن منظور : *لسان العرب*، مادة: (وجه): ج17 : ص453 – 458.

[681] المصدر نفسه.

[682] المصدر نفسه.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

- ((والتوجيه في القوائم: كالصَّدف إلا انه دونه، وقيل: التَّوجيه من الفرس تداني العُجايَتَين. وتداني الحافرين والتواء من الرسغين))[683].

- ((ووَجَّهه الأمير توجيهاً وأوجَهه إيجاها: جَعَله وجيهاً))[684].

التوجيه اصطلاحاً:

ورد لفظ ((التوجيه) بدلالته الاصطلاحية في أكثر من مبحث فهو:

مصطلح بلاغي: أدرجه السكاكي ضمن المحسنات المعنوية وعرفه بقوله: ((هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين))[685].

وقد سماه بعضهم بـ (المحتمل للضدين)؛ كأن يقول الشاعر بيتاً من الشعر يحتمل معنيين احدهما للمدح، والآخر للهجاء، ومما يمثل له البيت الآتي[686]:

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء

وللمتأخرين من البديعيين في حده الآتي:

---

[683] ابن منظور : *لسان العرب*، مادة: _وجه): ج17 : ص453 - 458.

[684] الزمخشري . أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد . 1998م . *أساس البلاغة* . بيروت . دار الكتب العلمية : (وجه) ص 1008، و الرازي . زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي . 1999م . *مختار الصحاح* . بيروت . المكتبة العصرية : (وجه): ص118.

[685] السكاكي . يوسف بن أبي بكر بن محمد . 2000 م . *مفتاح العلوم* . بيروت . دار الكتب العلمية . ص180.

[686] أبو البقاء . أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي . *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية* . بيروت . مؤسسة الرسالة . ج2ص83، و الصافي . خديجة محمد . 2009 م . *أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق* . دار السلام للطباعة والنشر ص 146-147.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

جاء في الكليات: ((هو أن يؤلف المتكلم مفردات بعض الكلام جملياته، ويوجهها إلى أسماء متلائمات صفاتها اصطلاحا من أسماء أعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك، مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثاني، من غير اشتراك حقيقي بخلاف التورية، والفرق بينهما من وجهين: احدهما أن التورية تكون باللفظة المشتركة، والتوجيه باللفظ المصطلح، والثاني: أن التورية تكون باللفظة الواحدة، والتوجيه لا يصح إلا بعده ألفاظ متلائمة))[687].

وهو مصطلح من مصطلحات العروض والقافية:

وقد اختلف في تفسير دلالاته الاصطلاحية عروضيا فمن العلماء من أفاد بأن بـ ((التوجيه في الشعر الحرف الذي بين ألف التأسيس وحرف الروي))[688].

ومنهم من ذكر بأن المراد به نحو ((اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد))[689].

وقال ابن جني: أصله من التوجية، كأن حرف الروي موجه عندهم أي كأن له وجهين: أحدهما من قبله، والآخر من بعده، ألا ترى أنهم استكرهوا اختلاف الحركة من قبله ما دام مقيداً نحو الجمق والعقق والمخترق؟ كما يستقبحون اختلافها فيه ما دام مطلقاً نحو

قوله: عجلان ذا زاد وغير مزود

مع قوله فيها: وبذاك خبرنا الغراب الأسود

---

[687] أبو البقاء : *الكليات*. ج2ص83.

[688] ابن فارس . أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي . 1986 م . *مجمل اللغة* . بيروت . مؤسسة الرسالة .

وجه ص 917، وينظر:ابن منظور : *لسان العرب* (وجه): ج17ص 453 – 458.

[689] ابن منظور : *لسان العرب* (وجه): ج17ص453-458.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وذلك أنه إذا كان مقيدا فله وجه يتقدَّمُه ، وإذا كان مطلقا فله وجه يتأخر عنه، فجرى مجرى الثوب الموجه ونحوه))[690].

وهو مصطلح نحوي:

يراد به: ((بيان أن رواية البيت أو القراءة القرآنية لها وجه في العربية وموافقة لضوابط النحو، فيقولون- مثلاً: وتوجيه الرواية أو البيت أو القراءة كذا وكذا))[691].

وتحرير ذلك أن النحوي قد تعرض له قراءة قرآنية أو شاهد شعري يرى بأكثر من وجه إعرابي كأن يرد بالرفع والنصب أو بأكثر من صورة كأن يذكر ما معروف أنه مؤنث أو يؤنث ما معروف أنه مذكر وما إلى ذلك.

فيحاول أن يعمل فكره النحوي لإيجاد حل يؤمن من خلاله تفسيرا يجعل الحالة الذهنية المدروسة تتطابق والقواعد النحوية التي يحتكم إليها مذهبه النحوي، بمعنى أكثر بياناً انه يسوق الحالة النحوية قيد الدرس لتطابق قاعدة نحوية معروفة تجعل للنص وجهاً مقبولاً في العربية، جائزاً عند دارسيها. وهو بهذا نوع من إعمال للفكر النحوي ووسيلة لحل ما قد يكون في ظاهره تعارضاً بين النص والقاعدة النحوية.

ولا يخفى ما في هذا المعنى من استناد إلى الدلالة اللغوية التي أوردها للفظ التوجيه في قولهم: ((وجهت الريح الحصى توجيهاً إذا ساقته ... وشيء موجه إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف)) وقولهم: ((خرج القوم فوجهوا الناس الطريق توجيها إذا وطئوه وسلكوه حتى استبان اثر الطريق لمن يسلكه)).

---

690 ابن منظور. *لسان العرب* (وجه): ج17ص453-458، عبادة . محمد إبراهيم . 2011 م . *معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية* . القاهرة . مكتبة الآداب .ص256-258.

691 عبادة : *معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية* ص250-251.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فكأن النحوي بذلك يسوق النص ليطابق القاعدة النحوية مستنداً إلى قواعد اللغة العربي ليسير النص بذلك مع العربية على جهة واحدة.

وهو مصطلح يختص بعلم القراءات:

وقد عرَّفه الدكتور حازم حيدر بأنه: تبيينُ وجوه وعِلل القراءات والإيضاح عنها والانتصار[692]، وذكر الدكتور حازم حيدر مراحل عدا نشوء هذا الفن وأشار إليها وفصلها في تحقيقه[693]، وعرفه الدكتور أحمد سعد محمد بأنه ((فن يعني بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها وبيانها والإيضاح عنها))[694]، وموضوعه الكلمات القرآنية التي قُرئت على أكثرَ من وجه، وأما عن استمداده فقد سبق في التعريف أن هذا العلم تفسيرٌ بمقتضى اللغة العربية للأوجه القرآنية ، وبناء عليه فهو مستمَدّ من اللغة من حيث هي ، ومصادره مصادرها ، وعليه فهو مأخوذ من المصادر التالية:

- القرآن الكريم نفسه باعتباره أهم مصادر اللغة العربية.
- الحديث الشريف كاحتجاج الزجاج لقراءة نعما في سورة البقرة بالحديث نعما المال الصالح للعبد الصالح[695]
- الشعر العربي كاحتجاجهم لقراءة التخفيف والتشديد للفظة الميت بقول عدي ابن الرعلاء يرثي أمه ((ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء[696])).

---

[692] المهدوي . أبو العباس أحمد بن عمار . 1415 هـ . *شرح الهداية* . الرياض . مكتبة الرشد. ص18

[693] المصدر السابق ص24

[694] سلامة . أحمد محمد . 2009 م . *التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية* . القاهرة . مكتبة الآداب . ص 23

[695] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص301

[696] ابن زنجلة . عبد الرحمن بن محمد . 1982 م . *حجة القراءات* . بيروت . مؤسسة الرسالة .ص52

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- النحو ومن أمثلته توجيه القراءات في قوله تعالى ((ليس البر)) في سورة البقرة.
- الصرف كقولهم الكسر والفتح في قراءة عسيتم.
- متن اللغة كما في مفردة فتبينوا قرئت فتثبتوا.
- اللهجات العربية
- البلاغة بفنونها الثلاثة وهذا الي سموه التوجيه البلاغي[697].

وهذا الذي ذكرناه هو أنواع التوجيه التي أستخدمها العلماء في توجيهاتهم للقراءات وبيان حالها والانتصار لها وهنا مجال البحث يدور حول الزجاج حيث وجه بتلك الأنواع واستعملها في كتابه وأوردها لبيان الحجة للقراءات كما سيأتي في المطلب الثاني مفصلاً إن شاء الله تعالى، وأما عن نشوء هذا الفن وظهوره فقد أشار الباحثون والكتاب في هذا المجال إلى أن مراحل تطور هذا العلم حيث قالوا ((إن بواكير ظهوره في هيئة ملاحظات أولية عن بعض الصحابة والتابعين والقراء، مفرقة لا تستوعب قراءة بعينها ولا عدداً من القراءات وإنما ترد عند الحاجة وجعلها المرحلة الأولى ومن ثم مرحلة التسبيع للقراءات ومرحلة الكتابة والتوجيه[698]))، ومن ثم ظهرت المؤلفات في هذا الفن وتنوعت وبينت وجوه تلك القراءات وأسهمت في إيضاح عللها نذكر منها:

- كتاب في وجوه القراءات لهارون بن موسى الأعور[699]
- الجامع ليعقوب بن إسحق الحضرمي[700].

---

[697] سلامة : *التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية* ص30

[698] سلامة : *التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية* ص24 و المهدوي : *شرح الهداية تحقيق الدكتور حازم حيدر* ص24

[699] ابن الجزري . محمد بن محمد بن يوسف . عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر . *غاية النهاية في طبقات القراء* . مكتبة ابن تيمية . ج2 ص348

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام[701]
- وجوه القراءات لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة[702]
- احتجاج القراء محمد بن يزيد المبرد[703]
- قراءة ابن عامر بالعلل لهارون بن موسى الأخفش الدمشقي[704]
- الفصل في القراءة لمحمد بن جرير الطبري[705]
- احتجاج القراء لأبي بكر محمد بن السري السراج[706]

وقد ذكر المصنفات وجمعها الدكتور حازم حيدر في مقدمة تحقيق شرح المهدوي وأوصلها إلى سبعين مصنفاً[707].

وهذه المصنفات تدور في مجمل الأنواع التي ذكرنا آنفاً في التوجيه وتصب في مصادرها التي توحدت وتقننت لدى علماء هذا الفن.

---

[700] القفطي : *إنباه الرواة* ج4 ص45.

[701] ابن الجزري : *النشر في القراءات العشر* ج1 ص34.

[702] ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم . *تأويل مشكل القرآن* . بيروت : دار الكتب العلمية ص64.

[703] الحموي : *معجم الأدباء* ج19 ص121.

[704] ابن الجزري : *غاية النهاية* ج1 ص210.

[705] الحموي : *معجم الأدباء* ج18 ص65.

[706] حاجي خليفة . مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني . 1941م . *كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون* . بغداد . مكتبة المثنى . ج1 ص15.

[707] المهدوي :*شرح الهداية* ج1 ص28.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المطلب الثاني

منهج الزجاج في التوجيه

أولاً : التـوجيه الصـوتي :

وفروعه هي

1. تحقيق الهمزة وتسهيلها:

الهمز في اللغة : (الغمز والضغط والنخس والدفع والضرب والعضّ والكسر ، يهُمز ويهمز ... وقوس همزيّ شديدة الدفع للسهم)[708].

وفي الاصطلاح : سمّي الحرف المعروف في أول الحروف الأبجدية والهجائية همزة، لأن الصوت يندفع عند النطق به لكلفته على اللسان[709].

والهمزة عند القدماء صوت شديد مجهور ، ومخرجه من أقصى الحلق[710] ، وهو صوت انفجاري ينتج عن إنطباق الوترين انطباقاً كاملاً ، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور، فيحتبس داخل الحنجرة ثم يخرج على صوت انفجار[711].

---

[708] الفيروزآبادى . مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب . 2005 م . *القاموس المحيط* . بيروت . مؤسسة الرسالة . ج2 ص 203 – 204 .

[709] القيسي . مكي بن طالب . 1996 م . *الرعاية لتحويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة* . عمان . دار عمار . ص 119 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وقد أفاضت كتب اللغة والقراءات في تحديد صوره في القراءة وجعلته من خصائص لهجة تميم ولهجات نجدية أخرى كـ " أسد ، وقيس " [712].

وأرجع الدكتور عبد الصبور شاهين ظاهرة تحقيق الهمزة لدى القبائل إلى سرعتها في النطق ، وأن الناطق البدويّ تعوّد النبر في موضع الهمزة فيما يقابل موضعها في الكلمات الخالية منها [713].

وحدّ التحقيق عند القرّاء هو تفكيك الحروف وبيان إخراج بعضها من بعض وإعطاء كلّ حرف حقّه من إشباع المدّ وتحقيق الهمزة وغيره ، وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلّم على التحقيق [714]، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (بيّنه تبييناً) [715]، أي : اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره [716]، وذلك إنما يكون بتحقيق الحروف وإخراجها من مخارجها ومراعاة صفاتها وما يعرض لها في التركيب .

---

[710] سيبويه . عمرو بن عثمان بن قَنْبر . 1988 م . *الكتاب* . القاهرة . دار الخانجي . ج4 ص434 ، الداني . عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو . 1988 م . *التحديد في الإتقان والتجويد* . بغداد . مكتبة دار الأنبار . ص120 ، الراجحي . عبده علي إبراهيم . 1999 م . *اللهجات العربية في القراءات القرآنية* . الرياض . دار المعارف . ص95 .

[711] عبادة: *القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث* ص 17 .

[712] سيبويه : *الكتاب* : ج3 ص 542 ، وابن يعيش . يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي . 2001 م . *شرح المفصل* . بيروت . دار الكتب العلمية . ج 9 ص 107 .

[713] عبادة :*القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث* ص 30 .

[714] ابن الجزري : *النشر* ج1 ص 205 – 206 ، السيوطي : *الإتقان* ج1 ص 101 .

[715] الطبري : *جامع البيان* ج28 ص 80 .

[716] ابن كثير . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي . 1419 هـ . *تفسير القرآن العظيم* . بيروت . دار الكتب العلمية . ج 4 ص 434 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تحقيق الهمزة :

أما تحقيق الهمزة فالمراد به ما يقابل التسهيل والإبدال ، حيث أنّ الهمزة عند القرّاء إمّا أن تحقق ، وإمّا أن تسهل ، وإمّا أن تبدل من جنس حركة ما قبلها، وتناول الزجاج ذلك كله في مواضع كثيرة ضمن حدود الدراسة في كتابه معاني القرآن وإعرابه حيث ذكر في قوله تعلى ((بما أنزل إليك[717])) إن شئت خففت الهمزة في أنزل وكذلك في قوله ألنك وهذه لغة غير أهل الحجاز، فأما أهل الحجاز فيخففون الهمزة بين الواو والهمزة[718].

والتخفيف الذي عنى به الزجاج هو التسهيل وهذا الذي ذكره في القراءة إنما مرده أن الهمزة كما قال سيبويه بَعُدَ مخرجها دون سائر الحروف ولإنها نبرة في الصدر، وقال في قراءة أأنذرتهم فزعم سيبويه أن من العرب من يحقق الهمزة ولا يجمع بين الهمزتين وإن كانتا من كلمتين، فأما أهل الحجاز فلا يحققون واحدة منهما وأما بعض القراء – ابن أبي إسحق وغيره- فيجمعون في القراءة بينهما فيقرئون أأنذرتهم وكثير من القراء يخفف أحداهما وزعم سيبويه أن الخليل كان يرى تخفيف الثانية فيقول أانذرتهم فيجعل الثانية بين الهمزة والإلف ولا يجعلها ألفاً خالصة ومن جعلها ألفاً خالصةً فقد أخطأ من جهتين إحداهما أنه جمع بين ساكنين والأخرى أنه أبد من همزة متحركة والحركة الفتح وإنما حق الهمزة إذا حركت وأنفتح ما قبلها أن تجعل بين بين – أعني بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها[719] ، مصطلح بين بين هو التسهيل عند علماء القراءات والذي ذكره الزجاج هو المتواتر في الهمزتين إذا أجتمعتا في كلمة واحدة وحركت إحداهما وسكنت الأخرى فقرأ بعض القراء بالتحقيق وقرأ الآخرون بالتسهيل بين بين وباب الهمزتين من

---

[717] القرآن الكريم : سورة *البقرة* آية 2.

[718] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص72

[719] المصدر السابق ج1 ص76

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كلمتين إذا اتفقتا حركة، والزجاج بين هذه المذاهب وفصلها في الهمزتين من كلمة وهو باب عقد له العلماء أصولاً حيث قال فيه ((وجملة ما يقول النحويون في المسألة الأولى في مثل قوله تعالى على البغاء إن أو أولياء أولئك ثلاثة أقوال على لغة غير أهل الحجاز فأحد هذه الثلاثة وهو مذهب سيبويه والخليل أن يجعل مكان الهمزة الثانية همزة بين بين فإذا كان مضموماً جعل الهمزة بين الواو والهمزة فقال أولياوألئك وإذا كان مكسوراً جعل الهمزة بين الياء والهمزة فقال على البغاءين وأما أبو عمرو فقرأ على ما ذكرناه وأما ابن أبي إسحق ومذهبه مذهب جماعة من القراء بتحقيق الهمزتين))[720].

والمذاهب التي ذكرها الزجاج هي المتواتر الذي نقل عن القراء والمقروء به في أصول قراءاتهم وتحقيقه للمذهبين سيبويه والخليل ولم يرجح بين تلك الأقوال بل قال في هذين المذهبين وقول الخليل أقيس وقول أبي عمرو جيد أيضاً، وأما إبدال الهمزة فقد قال الزجاج في لفظة مستهزئون ويجوز أن تبدل من الهمزة ياء فتقول مستهزيون فأما مستهزوون فضعيف لا وجه له إلا شاذاً على لغة من أبدل الهمزة ياءاً[721].

ومذهب الزجاج هنا هو توجيه المتواتر من القراءات التي وردت في هذه اللفظة وبيان الشاذ الذي قرئت به مع الإشارة إلى ضعفه ولا وجه له في اللغة التي هي ركن من أركان المتواتر الصحيح المقروء به، وتجدر الإشارة إلى أن الزجاج أورد في باب الهمزة مواضع أخرى تبين مدى معرفته بهذا الباب وأصوله وسماعه للغات ولهجات العرب الواردة في الهمزة سواء كانت من كلمة أو كلمتين.

---

[720] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* : ج1 ص78.

[721] المصدر السابق ج1 ص86.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

2. الإدغام وفكّه:

الإدغام في اللغة : مصدر الفعل أدغم ، ومعناه : الإدخال ، وأصله من قولهم : أدغمت اللجام في الفرس إذا أدخلته فيه [722]. والدغمة اسم من ادغامك حرفاً في حرف [723]. وفي الاصطلاح : هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً [724]، يرتفع اللسان عندهما إرتفاعة واحدة [725]، من غير أن تفصل بينهما حركة أو وقف [726]، وعرّفه ابن جني بقوله : (وقد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد ، إنما هو تقريب صوت من صوت) [727]. وفي تعريف ابن الحاجب : (أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل ، ويكون في المثلين والمتقاربين) [728].

والعلة في وجود الإدغام هي ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متقاربة [729]، وقصر القراء تعريف الإدغام على التعريف الإصطلاحي ، فقالوا : (اللفظ بحرفين كالثاني

---

[722] ابن منظور: *لسان العرب* : مادة " دغم "

[723] الخليل . الخليل بن أحمد الفراهيدي . *كتاب العين* . بيروت . دار الكتب العلمية . ج4 ص 395 ، وابن يعيش :*شرح المفصل* ج10 ص 121 .

[724] ابن الجزري: النشر ج1 ص 274 ، شاهين . عبد الصبور . 1987م . *نشر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو والصرف* . القاهرة . مكتبة الخانجي . ص 127 .

[725] ابن الباذش . أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر . *الإقناع في القراءات السبع* . دار الصحابة للتراث ج1 ص 164 .

[726] ابن الباذش : *الإقناع* : ج1 ص 164 ، ابن يعيش : *شرح المفصل* 10ج ص 121 .

[727] ابن جني . أبو الفتح عثمان . *الخصائص* . بيروت . عالم الكتب . ج2 ص 139 .

[728] الاستراباذي . ضي الدين محمد بن الحسن . 1982 م . *شرح شافية ابن الحاجب* . بيروت . دار الكتب العلمية . ج3 ص 233 - 234 .

[729] الراجحي : *اللهجات العربية في القراءات القرآنية* ص 126 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مشدداً)[730]، وهو عندهم نوعان : إدغام كبير ، وإدغام صغير ، فالإدغام الكبير هو : أن يلتقي الحرف بمثله ، أو مقاربه وهما متحركان[731]، وقد نسب هذا النوع من الإدغام إلى أبي عمرو بن العلاء[732].

والإدغام الصغير : أن يلتقي الحرف الساكن بمثله أو مقاربه المتحرك[733].

والإدغام من الظواهر الصوتية التي اتسمت بها القبائل التي تعد السرعة في الكلام من أهم خصائص لهجة أبنائها[734]، ومنها : تميم وأسد وعبد القيس وبكر وائل وكعب ونمير[735].

أما القبائل التي آثرت الإظهار فهي : قبائل الحجاز وقريش وثقيف وكنانة والأنصار وهذيل[736]

ولم يختلف المحدثون عن القدماء في تفسير هذه الظاهرة الصوتية ، فالإدغام عندهم هو فناء الصوت الأول في الصوت الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحداً كالثاني[737]، وكان الزجاج من الذين ذكروا الإدغام وأشاروا إليه سواء كان الصغير منه أم الكبير وسنبين بالأمثلة توجيهه لتلك الحالات من الإدغام:

---

730 ابن الجزري : *النشر* ج1 ص 247 .

731 سيبويه : *الكتاب* ج2 ص 424 ،و الداني . عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو 1988 م . *التحديد في الإتقان والتجويد* . بغداد . مكتبة دار الأنبار . ص 101 .

732 أنيس . إبراهيم . *الأصوات اللغوية* . القاهرة . مكتبة نهضة مصر . ص 187 ، و زاهد . زهير غازي . 1987 م . *أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو* . العراق . مكتبة جامعة البصرة .ص 80 .

733 سيبويه : *الكتاب* ج4 ص 437 ، الداني : *التحديد* ص 101 .

734 الراجحي: *اللهجات العربية في القراءات القرآنية* ص 123

735 المصدر السابق ص 73 .

736 المصدر السابق ص 71 - 72 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

اللام في اللام:

في قوله تعالى (جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ) وجهان: الإدغام والإظهار، تقول: جعل لكم وجعللكم الأرض، فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات، ومن أظهر – وهو الوجه وعليه أكثر القراء – فلأنهما منفصلان من كلمتين[738]، حيث أشار الزجاج إلى القراءتين الواردتين في هذا الحرف وبين علة كل واحد منهما فسبب الإدغام هو اجتماع حرفين من جنس واحد أحدهما ساكن والثاني متحرك وهو سبب الإدغام وقد أشار إليه الزجاج كما ذكرنا فهو بذلك يوافق العلماء بهذا التوجيه والقراءة.

إدغام التاء في الطاء:

قال الزجاج قرأ القراءُ (بيتُ طائفةٌ) على إسكان التاءِ وإدْغامها في الطاء، وروي عن الكسائي أن ذلك إذا كان في فعل فهو قبيح، ولا فرق في الإدغام ههنا في فعل كان أو في اسم لو قلت بَيَّتُ طائفةٌ وهذا بَيْتُ طائفة – وأنت تريد بيتٌ طائفةٌ كان واحداً، وإنما جاز الإدغام لأن التاءَ والطَاءَ مِن مَخْرج واحدٍ[739].

وهنا أشار الزجاج إلى إدغام التاء في الطاء وهو من الإدغام الكبير وبين العلة منه وهو قرب المخرجين وهذا هو المتواتر المنقول المقروء به فهو بذلك لم يجانب الصواب بل سار على النهج والأصول المعمول بها.

---

[737] أنيس : *الأصوات اللغوية* ص 187 .

[738] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص99.

[739] المصدر السابق ج2 ص82.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

إدغام اللام في الراء:

قال الزجاج في قوله تعالى (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) إدغام اللام في الراء هو الكلام وعليه القراءة، لأن اللام قريبة من مخرج الراء، والراء متمكنة، وفيها كالتكرير، فلذلك اختير الإدغام فيها، وإنْ لَمْ تُدْغم لأنه مِنْ كلمتين جاز[740].

وهذا التوجيه لقراءة الإدغام هو لقرب مخرج اللام والراء وذكر صفة التكرير هنا إشارة لتكرير الراء وهذا من الصواب المقبول المقروء به، أما فك الإدغام أو ما يسمى بالإظهار فحجة من قرأ بها هو كون اللام في كلمة والراء في كلمة أخرى منفصلة وهذا صواب أيضاً مقروء به من المتواتر وقد ذكره الإمام الشاطبي في باب الإدغام.

التاء في الصاد:

قوله عزَّ وجلَّ: (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) أكثر القراءة تبيين التاء، وقد قرئت على إدغام التاء في الصادِ[741].

وهذا أيضا من قبيل المتواتر الذي قرئت به القراء وذلك لقرب المخرجين وقد أشار إليه ابن الجزري والإمام الشاطبي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

---

[740] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* : ج2 ص129.

[741] المصدر السابق ج4 ص297.

3. الإمالة :

الإمالة في اللغة : الميل وهو العدول إلى الشيء والإقبال عليه ، وكذلك الميلان ، وتقول : مال الشئ يميل ميلاً ومَيَلاً وميلاً وتميالاً ، وأمال الشئ إمالة فمال [742].

والإمالة في الاصطلاح : هي : (عدول بالألف عن استوائه ، وجنوح به إلى الياء فيصير بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدّة الإمالة)[743]. أو هي : ان تنحو بالألف نحو الياء ، وبالفتحة نحو الكسرة ، وهي من الظواهر الصوتية القائمة على تقريب الصوت من الصوت [744] ، وضدها الفتح الذي هو لغة أهل الحجاز في حين أن الإمالة لغة عامة أهل نجد ، من تميم وقيس وأسد [745] ، وهي أيضاً لغة هوازن ، وبكر بن وائل ، وبني سعد[746] ، وذكر سيبويه أن من أهل الحجاز من وردت عنهم الإمالة ، كما أن أكثرهم أشتهر عنه الفتح ، والعكس صحيح بالنسبة إلى تميم [747].

---

[742] ابن منظور : *لسان العرب* : مادة " ميل " .

[743] ابن يعيش : *شرح المفصل* ج 9 ص 54 .

[744] حاجي خليفة : *كشف الظنون* ج1 ص 168 ، ابن الجزري *النشر* ج 2 ص 30 .

[745] الإستراباذي : *شرح الشافية* ج3 ص 4 ، ابن يعيش : *شرح المفصل* ج9 ص 54 ، الأندلسي . محمد بن يوسف أبو حيان . 1984 م . *ارتشاف الضرب من لسان العرب* . القاهرة . عالم الكتب . ج1 ص 238 .

[746] ابن الجزري : *منجد المقرئين* ص60 ، السيوطي : *الإتقان* ج1 ص 255 .

[747] سيبويه : *الكتاب* ج4 ص 120 - 125 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنه يمكن (أن تنسب الإمالة إلى جميع القبائل التي عاشت في وسط الجزيرة العربية وشرقها ، وأشهرها : تميم وأسد وطيء وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب ...) [748].

فالإمالة إذن من الظواهر اللهجية التي شاعت بين القبائل البدوية ، ولم تتطور في ألسنتهم إلى الفتح كما حدث عند الحجازيين [749] ، وحروف الإمالة ثلاثة هي [750] : الألف ، والراء ، وهاء التأنيث .

وقسمّها علماء القراءات إلى إمالة كبرى وهي المحضة ، وإمالة صغرى وهي إمالة بين بين [751] ، التي لم يعتد بها سيبويه لأنها فرع من الهمزة المحققة فهما على ذلك حرف واحد [752] ، وتكون الإمالة لسببين :

الأول : إرادة الإنسجام والتناسب الصوتي الذي يفيد التلاؤم بين الحروف [753].

والثاني : الإشعار بالأصل ، وذلك بما يعرض في بعض تصاريف الكلمة [754].

أما العلل التي تقتضي الإمالة فهي [755] :

---

[748] الراجحي : *اللهجات العربية* ص 60 .

[749] المصدر السابق ص90 ، النعيمي . حسام سعيد . 1980م . *الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني* . بغداد . دار الرشيد للنشر . ص203 .

[750] القيسي : *الرعاية* ص 104 .

[751] ابن الجزري : *النشر* ج1 ص207 .

[752] سيبويه : *الكتاب* ج4 ص117 ، ابن الجزري : *النشر* ج1 ص 207 .

[753] ابن يعيش : *شرح المفصل* ج9 ص 54 - 55 .

[754] ابن الجزري : *النشر* ج2 ص 35 .

[755] ابن السراج . أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي . *الأصول في النحو* . بيروت . مؤسسة الرسالة . ج3 ج 160 ، ابن الباذش : *الإقناع* ج1 ص269 ، ابن يعيش : *شرح المفصل* ج4 ص 54 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

- ألف منقلبة عن ياء .
- ألف مشبهة بالألف المنقلبة عن الياء .
- أن تكون الألف قد ترجع إلى الياء في بعض الأحوال .
- أن تكون قبل الألف كسرة أو بعدها .
- أن تكون قبل الألف ياء .
- إمالة للإمالة .

وقد أجمل مكي ابن أبي طالب هذه العلل الست في ثلاث علل هي [756]:

- وجود الكسرة .
- كونها من أصل يأتي للدلالة عليها .
- كونها لهجة .

وذكر ابن الباذش عللاً شاذة توجب الإمالة هي [757]:

- إمالة الألف المشبهة بالألف المنقلبة .
- الإمالة للفرق بين الإسم والحرف .
- الإمالة لكثرة الإستعمال .

أمّا التفخيم فهو على العكس من الإمالة وفيه ينحى بالفتحة نحو الضمة ، وبالألف نحو الواو [758]. ويقال له الفتح ، وينقسم إلى : شديد وهذا الضرب يوجد في لغة العجم ويحرّم في القرآن ،

---

[756] حاجي خليفة: *كشف الظنون* ج1 ص 170 .

[757] ابن الباذش : *الإقناع* ج1 ص 269 ، ابن الجزري : *النشر* ج2 ص 32 .

[758] الفراء : *معاني القرآن* ج 3 ص 266 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ومتوسط وهو بين الشديد والإمالة المتوسطة [759]، وقد أشار الزجاج في كتابه إلى ضروب الإمالة بمواضع نذكر منها:

في قوله تعالى (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) يقرأ إلى النارِ – بفتح النون والتفخيم – وقراءة أبي عَمْرٍو – إلى النارِ –على الإمالة إلى الكسر – وإنَّما يختار ذلك مع الراءِ – يعني الكسر – لأنها حرف فيه تكريرٌ، فلذلك آثَرَ أَبُو عَمْرٍ الكسرَ [760]، وهنا أشار الزجاج إلى علة الإمالة وهي وجود الكسر بعد الإلف فهذا من علل الإمالة وكلا القراءتين صحيح متواتر فمن قرأ بالإمالة وقد قرأ به فقد أصاب ومن قرأ بالفتح فقد أصاب فهذا التوجيه من قبل الزجاج هو مطابق وموافق لما خطه علماء هذه الصنعة من أصول في هذا الباب أعني الإمالة.

وقال في موضع آخر وقرأ أبو عَمْرٍو كمثل الحِمَارِ – بكسر الألف – وهذه الإمالة أَعْنِي كسر الراء كثير في كَلَامِ العَرَبِ [761]، وتوجيهه لما كان من باب شيوع وانتشار اللهجة التي تقضي بالإمالة وهي أيضاً من الأسباب التي توجب الإمالة لأن القرآن أنزل بلهجات العرب وهي من المتواتر الذي صح نقله عن الأئمة المتقنين الضابطين.

---

[759] البنا . أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي . 2006 م . *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر* . بيروت . دار الكتب العلمية . ص 74 ، ابن الجزري : *النشر* ج2 ص 29 – 30 .

[760] الزجاج :*معاني القرآن وإعرابه* ج4 ص383

[761] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* : ج5 ص170

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ثانياً : التوجيه الصرفي

كان للتوجيه الصرفي حضور في طيات كتاب معاني القرآن وإعرابه ويرجع ذلك كما أشرنا إلى ما عرف به الزجاج من صنعة اللغة وتتلمذه على عالمين كبيرين هم ثعلب والمبرد، واستخدم الزجاج التوجيه الصرفي لسعة المعنى وشموله أكثر من وجه في التفسير كما سيأتي في الأمثلة التي نسوقها:

المثال الأول:

قوله (وقد قرئ: (فَأَزَالَهُمَا الشيطان) من زُلْتُ وأزَالَنِي غيْري. وأزلهما من زَلَلْتُ وأزَلني غيري، ولزَللت ههُنا وجهان: يَصْلح أن يكون فأزلهما الشيطان"أكسبهما الزلة والخَطِيئةَ، ويصلح أن يكون "فأزلهما نحَّاهما" وكلا القراءَتين صواب حسن)[762].

وهنا أشار الزجاج إلى قراءتين قرئ بهما حملتا معنى في طياتهما بإختلاف الفعل فالأول من الإزالة والتنحية ومعنى آخر وهو الإكتساب وقد بين الزجاج هذين المعنيين الذين أعطيا تفسيرين ووجهين للآية الكريمة وكل صواب حسن كما ذكر الزجاج وهو توجيه صرفي لأن الفعل قد زيد عليه فالأول أزل والثاني أزال.

المثال الثاني:

قول الزجاج في قوله عزَّ وجلَّ: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) ويقرأ: (وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى) وكلاهما جائز (حسن) واختار جماعة منأهل اللغة، وإذ وعدنا بغير ألف:

وقالوا: إنما اخترنا هذا لأن المواعدة إنما تكون لغير الآدميين، فاختاروا (وعدنا) وقالوا دليلنا قوله عزَّ وجلَّ (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ) وما أشبهه وهذا الذي ذكروه ليس مثل هذا وواعدنا هنا جيد بالغ، لأن

[762] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص115

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الطاعة فيالقبول بمنزلة المواعدة، فهو من اللّه عزَّ وجلَّ وعدٌ ومن موسى قبول واتِّبَاعٌ فجرى مجرى المواعدة[763].

وهنا وجه الزجاج القراءتين بذكر أقوال أصحاب القراءة فالأولى حجتهم أن المواعدة هي المفاعلة وتكون بين شخصين كمثل قولك مبارزة فلا تكون إلا بين طرفين ولعل الزجاج نحى في التوجيه إلى القراءة بالإلف وأشار إلى أن قبول موسى ورضاه تسليم فهو من باب الوعد من الله والقبول من موسى فأصبحت المواعدة بينهما قول الله عز وجل قاتلهم الله فهنا لا يتصور أن تكون المقاتلة من طرفين.

ثالثاً : التوجيه النحوي

وهذا التوجيه خطابه بالنصيب الأوفر والقسم الأكبر من معاني القرآن وإعرابه وذلك لما أسلفنا من كون الزجاج كا عالماً باللغة والنحو، ومما تجدر الإشارة إليه أن الزجاج ذكر وجوهاً تجيزها اللغة ومن ثم يقول إن كان قرأ بها وإلا فلا تقرآن بها وذلك لعدم موافقتها لرسم المصحف وهذا الذي عليه من شروط المتواتر كما بينا سابقاً في منهج الزجاج أنه وافق شروط المتواتر التي أتى بها القراء وثبتت أركانها فيما بعد

ومن تلك الأمثلة:

قوله قال عزَّ وجلَّ: (مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)، الأجود في (مُخْرِجٌ) التنوين لأنه إنما هو لِمَا يستقبل أو للحَال، ويجوز حذف التنوين استخفافاً فيقرأ، مخرجُ مَا كنتم تكتمون، فإن كان قُرئ به وإلا فلا يخالَف القرآن كما شرحنا[764].

---

[763] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص133

[764] المصدر السابق ج1 ص154

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

حيث أشار الزجاج إلى وجه آخر وقراءة أخرى وهي قراءة التخفيف وحذف التنوين وكذلك أشار إلى ركن موافقة المصحف فإنه وإن أجازت اللغة هذا الوجه فقد نبه الزجاج إلى عدم جواز القراءة به إن لم يوافق المصحف.

وكذلك قوله (وقوله عزَّ وجلَّ: (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)، وتقرأ (ولا تَسْأَلُ)، ورفع القراءتين جميعاً من جهتين، إحداهما أن يكون (ولا تسأل) – استئنافاً، كأنَّه قيل ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، كما قال عزَّ وجلَّ: (فإنما عَلَيْكَ البَلَاغُ وعَلَيْنَا الحِسَابُ) ويجوز أن يكون له الرفع على الحال، فيكون المعنى: أرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم، ويجوز أيضاً " ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم "وقد قرئ به فيكون جزماً بلا، وفيه قولان على ما توجبه اللغة: أن يكون أمَرَهُ اللَّهُ بترك المسألة، ويجوز أن يكون النهي لفظاً، ويكون المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب[765].

حيث أشار الزجاج هنا إلى قراءتين متواترتين وهما بالبناء للمجهول والأمر وكلا القراءتين لها وجه من اللغة وبني عليه معنى بينه الزجاج وأوضحه وفهم المراد منه ففي قراءة الأمر أمر الله عز وجل نبيه بترك السؤال عن أصحاب النار من باب تغليظ عقوبتهم، وأما القراءة بالبناء للمجهول فهي موعدة من الله عز وجل أن لنبيه صلى الله عليه وسلم بأنه غير مسؤول عن أولئك الذين يدخلون النار بعد تبليغهم بالرسالة.

[765] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص200

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

رابعاً : التوجيه بالقرآن:

ذكر الزجاج قراءات في مواضع وبين وجوهها وعللها بأنها قد قرئت في موضع آخر من القرآن الكريم واستشهد بتلك المواضع لبيان الوجوه منها قوله:

كما في قوله عزَّ وجلَّ: (وانْظُرْ إلى العِظامِ كيْف نُنْشِزُها)، يقرأ (نُنْشِزُها) بالزاي، ونُنْشِرُها، ونَنْشُرُهَا بالراءِ، فمن قرأ (نُنْشِزُها) كأن معناه نجعلها بعد بِلاها وهجودها ناشزه ينشز بعضها إلى بعض، أي يرتفع.

والنَشَزُ في اللغة ما ارتفع عن الأرض، ومن قرأ (نُنْشِرُها)، و (نَنْشُرُها)، فهُو من أنْشَر اللَّه الموتى ونشرهم – وقد يقال نشرهم الله أي بعثهم، كما قال: (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)[766]،

كما يتضح فإن الزجاج وجه قراءة نشرها بالراء بقوله تعالى وإليه النشور وقد ذكر العلماء أيضاً في توجيه هذا الحرف قول الله عز وجل ثم إذا شاء أنشره وهو من المتواتر الصحيح الذي شاع واشتهر عن الأئمة الأعلام.

وقوله (والرفع في بعوضة جائز في الإعراب، ولا أحفظ من قرأ به (ولا أعلم) هَلْ قرأ به أحد أم لا، فالرفْعُ على إضْمَارِ هُوَ كأنهُ قال مَثلاً (لذي هو بعوضة وهذا عند سيبويه ضعيف)، وعنه مندوحة، ولكن من قرأ (تَمَاماً عَلَى الذِي أحْسَن) في سورة الأنعام آية 154 وقد قرئ به – جاز أن يقرأ (مَثَلاً مَا بعوضَة) ولكنهُ في (الذي أحسنُ) أقوى لأن الذي أطول، وليس للذي مذهب غيرُ الأسماء[767].

وهنا ذكر الزجاج قراءة الرفع وأشار إلى أن من قرأ في موضع الأنعام بالرفع جاز له أن يقرأ في موضع البقرة بالرفع.

---

[766] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص344.

[767] المصدر السابق ج1 ص104.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

خامساً : التوجيه بالحديث الشريف:

قوله في قراءة نعما في سورة البقرة (وروى أبو عُبَيْدٍ أنَّ أبَا جَعْفَر وشَيْبَةَ ونافعاً وعاصماً وأبا عمرو بن العلاءِ قرأوا: (فَنِعِمَّا هِيَ) بكسر النون وجزم العين وتشديد الميم، وروى أن يحيى بن وثاب، والأشْمس وحمزة والكسائي قرأوا: (فنَعِمَّا هي) – بفتح النون وكسر العين، وذكر أبو عُبَيْدٍ أنَّه رُوِيَ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله لابن العاص: نعْمَّا بالمال الصَّالح للرجل الصَّالِح، فذكر أبو عبيدٍ أنه يَخْتَار هَذه القراءَة من أجل هذه الرِّوَاية[768].

وهذا الحديث ذكره أصحاب القراءة بالإسكان وأحتجوا به لقراءتهم[769].

سادساً : التوجيه بالشعر العربي:

قوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ)، أصله الميْتَة بالتشديد، إلا أنه مخفف، ولو قرئت الميتَةُ لجاز يقال مَيِّت، ومَيْت، والمعنى واحد، وقال بعضهم الميِّت يقال لما لَمْ يَمتْ، والميْتُ لما قَدْ مَاتَ، وهذا خطأ إنما ميِّت يصلح لما قد مات، ولما سيموت، قال اللَّه عزَّ وجلَّ: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ).

وقال الشاعر في تصديق أن الميْتَ والميِّتَ بمعنى واحد:

ليس مَن مات فاسْتراحَ بمَيِّتٍ إنما الميْتُ مَيِّتُ الأَحْياءِ

فجعل الميت مخففاً من الميت[770]، والقراءتان متواترتان التخفيف والتشديد ومعمول بهما وما ذكره الزجاج هو نفسه ما استدل به الجمهور من القراء على قراءة التشديد والتخفيف[771].

---

[768] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج1 ص354

[769] ابن زنجلة : *حجة القراءات* ص44

[770] الزجاج : *معاني القرآن وإعرابه* ج2 ص144

[771] ابن زنجلة : *حجة القراءات* ص52

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية